# التبصُّر بالتجارة

## الجاحظ

تحقيق حسن حسني عبد الوهاب

# التبصُّر بالتجارة

**تأليف**
**الجاحظ**

تحقيق
حسن حسني عبد الوهاب

هنـــداوي

# التبصُّر بالتجارة

الجاحظ

**الناشر مؤسسة هنداوي**
المشهرة برقم ١٠٥٨٥٩٧٠ بتاريخ ٢٦ / ١ / ٢٠١٧

يورك هاوس، شييت ستريت، وندسور، SL4 1DD، المملكة المتحدة
**تليفون:** ٨٣٢٥٢٢ ١٧٥٣ (٠) ٤٤ +
**البريد الإلكتروني:** hindawi@hindawi.org
**الموقع الإلكتروني:** https://www.hindawi.org

إنَّ مؤسسة هنداوي غير مسئولة عن آراء المؤلف وأفكاره، وإنما يعبِّر الكتاب عن آراء مؤلفه.

---

تصميم الغلاف: عبد العظيم بيدس

الترقيم الدولي: ٧ ٢٤٥٢ ٥٢٧٣ ١ ٩٧٨

صدر هذا الكتاب في القرن التاسع الميلادي.
صدرت هذه النسخة عن مؤسسة هنداوي عام ٢٠٢١.

جميع حقوق النشر الخاصة بتصميم هذا الكتاب وتصميم الغلاف مُرَخَّصة بموجب رخصة المشاع الإبداعي: نَسْبُ المُصنَّف، الإصدار ٤,٠. جميع حقوق النشر الخاصة بنص العمل الأصلي خاضعة للملكية العامة.

# المحتويات


تصدير ٧
باب معرفة الذهب والفضة وامتحانهما ١٥
باب ما يُعتبر من الجواهر النفيسة ومعرفتها وقيمتها ١٧
باب معرفة الطِّيب والعِطر والروائح الطيبة ٢١
باب ما يُجلب من البلدان من طرائف السلع والأمتعة والجواري والأحجار وغير ذلك ٢٩
باب ما يختاره من البُزاة والشَّواهين والبَواشِق والصُّقور وغير ذلك من جوارح الطير ٣٧
باب آخر ٣٩

# تصدير

الجاحظ بصري المولد والوفاة، بالبصرة وُلد وفيها شبَّ ودرج، وفيها دوَّن غالب تآليفه.

ما بين نصفي القرن الثَّاني والثَّالث نبغ الجاحظ حينما كان «العراق عين الدنيا والبصرة عين العراق»،[1] وكيف لا تكون كذلك وهي عندئذٍ باب بغداد الكبير، ومدخل دجلتها المتدفق بضروب المتاع وأنواع السلع المجلوبة من أطراف الدنيا، نظير مرسيلية اليوم بالنسبة إلى فرنسا، أو جنوى لإيطاليا، وليفربول لبلاد الإنكليز، بل امتازت البصرة على تلك المراسي بنصيب أوفر، وحظ أكبر؛ إذ كانت مقصد القوافل الواردة من كل حدب وصوب، ومحط رحال الشَّرق والغَرْب، من مجاهل الصِّين إلى مفاوز الصَّحراء الكبرى؛ ولذلك استفحل بها العُمْران، وكثرت فيها المصانع والصَّنائع، وصارت واسطة العرب والعجم، وحُقَّ لها أنْ تتلقَّب «بقبة الإسلام» كما سمَّاها عمر بن الخطاب (رضي الله عنه).

ناهيك ببلد جمع لحُسن الموقع أضداد الأشياء، وأشتات الأرزاق ومختلف المكاسب والمطالب.

فاخرَ خالد بن صفوان البصري ببلده لدى عبد الملك بن مروان فقال:

«يغدو ساكنها قانصًا فيجيء هذا بالشبوط والشيم، ويجيء هذا بالسبي والظليم، ونحن أكثر النَّاس عاجًا وَساجًا، وخزًّا ودِيباجًا.»[2]

---

[1] ثمار القلوب للثعالبي، ص١٢٧؛ ومعجم البلدان لياقوت ٢، ١٠٤.

[2] معجم البلدان لياقوت ٢، ٢٠٤.

وباهى الجاحظ نفسه بمسقط رأسه فقال:

«ومن أَتَى وَادي القصر بالبصرة رأى أرضًا كالكافور، ورأى ضِبابًا تحترش، وغزلانًا وسمكًا وصيادًا، وسمع غناء ملَّاح في سفينته، وحِداء جَمَّالٍ خلف بعيره.»[٣]

وقد قال الخليل بن أحمد البصري قبله:[٤]

زُر وادِيَ القَصرِ نِعم القَصرُ وَالوادي فِي مَنْزِلٍ حَاضِرٍ إنْ شِئْتَ أَوْ بَادِي
تَرَ بِهِ السُّفن والظُّلْمَان حَاضِرة والضَّب والنُّون وَالْمَلَّاح والْحَادِي

اشتهر أهل البصرة من قديم بالتطوُّح في الآفاق، والترامي على الأسفار البعيدة، والضرب في مناكب الأرض طلبًا للرزق والتماسًا للثراء، مما جعل الجاحظ يُصرِّح: «بأنَّه ليس في الأرض بلدة واسطة، ولا بادية شاسعة، ولا طرف من أطراف الدنيا إلا وأنت واجد به البصري والمدني.»[٥] وقد اتفقت كلمة السائحين، وأصحاب الرحلات على بُعد همة البصريين في التَّرحال، وغورهم في الاغتراب، حتَّى قال أبو بكر الهمذاني، وناهيك به من خبير: «وأبعد النَّاس نجعةً في الكسب بصري وحميري، ومَن دخل فرغانة القصوى، والسوس الأقصى، فلا بدَّ أن يرى فيهما بصريًّا أو حميريًّا.»[٦]

ومن البديهي أنَّ مَن كان في ذكاء الجاحظ وفطنته الغريزية وحبه استطلاع الأشياء والبحث عن الجليل منها والحقير، ويشاهد عيانًا ما يُجلب إلى العراق من أطراف البلاد، وما يُصدَّر منه إلى سائر الآفاق، لجدير أن يفيدنا بكل حذق وتدقيق عن الأحجار الكريمة، والأعلاق النفيسة، والطرائف الثمينة، والرياش الغالية، وعن ماهيتها وأثمانها في عصره، على أنَّه لم يكتفِ بِمُجرَّد ذكر المتاجر ومصادرها، بل زاد في البيان فنبَّه على المعمول من الجواهر واليواقيت، والمغشوش من العطور والعقاقير، وفرَّق بين العالي منها والمتوسط والرديء، فأضاف إلى الخبرة التفنن، وإلى المعرفة التبصُّر، وهو عين موضوع كتابه «التبصُّر بالتجارة» الذي ننشره اليوم.

---

[٣] ثمار القلوب، ص٤١٩.

[٤] الكتاب المذكور، ص٣١٩.

[٥] كتاب البخلاء، طبعة مصر سنة ١٣٢٣، ص١٦٠.

[٦] كتاب البلدان للهمذاني، طبعة ليدن سنة ١٣٠٢، ص٥١.

فلا عجب حينئذٍ أن اشتملت هذه الرسالة على فوائد جمَّة تهم أرباب الصناعة والتِّجارة، كما تُفيد المشتغلين بعلم الاقتصاد، والباحثين عن علائق العالم الإسلامي زمن غزارة حضارته وعنفوان تمدنه مع بقية الممالك.

وهي لعمري إفادة ذات شأن، ترشدنا إلى ما وصلت إليه عواصم الإسلام الكبرى — لا سيَّما بغداد — من التبحُّر في العمران، وتوسُّع سكانها في وسائل البذخ والترف، ما جعل تجارها في حاجة إلى توريد نتائج أطراف المعمورة وإن بعدت، وركوب الأخطار والمشاق في سبيل استجلابها، وبذل النفس والنفيس في اقتنائها، إجابةً لرغبة الأغنياء، وتسديدًا لشرَه النساء، إمَّا لتأثيث القصور، أو لزينة ربات الخدور!

نعم! وضع المعتنون بتقويم البلدان من أبناء العربية تآليف عديدة هي عمدتنا الآن في معرفة العلائق التجارية قديمًا، وما اختصَّ به كل صقع من أنواع النتائج، منهم ابن الفقيه الهمذاني، وابن رسته الأصبهاني، وأبو زيد البلخي، والإصطخري، وابن حوقل، وابن البشاري المقدسي، وغيرهم من كبار الجغرافيين، وأصحاب الرحلات، غير أنَّا لا ننسى أنَّ الجاحظ هو الذي فتح لهم باب التأليف في تقويم البلدان وخصائصها، وشرع لهم هذا المنهج؛ فهم في الحقيقة عِيالٌ عليه — وإنْ توسَّعوا بعد — ومقتفو أثره ومقلدوه، الأمر الذي جعل أحدهم — وهو المقدسي — يقول: «وإذا نظرت في كتاب الفقيه فكأنَّما أنت ناظر في كتاب الجاحظ.»[٧]

وهي لعمري شهادة اعتراف بأسبقية الجاحظ في خوض هذا الميدان، وليس هو بأوَّل موضوع يطرقه ذلك المبدع الماهر، بل البحر الزاخر الذي لا ساحل له.

حرَّر الجاحظ هذا البحث الاقتصادي برسم أحد كبار أحبابه ممن سبقت عنايته بالتأليف والإهداء إليهم، فهو وإن لم يسمِّه أحد الأربعة: محمد بن عبد الملك الزيات وزير المعتصم، وقاضي القضاة أحمد بن أبي داود، والوزير الفتح بن خاقان، وإبراهيم ابن العباس الصولي، وأراني في غنًى عن إثبات نسبة هذه الرسالة إلى الجاحظ، وإن لم يأتِ ذكرها بين مصنفاته الواردة في فهرست ابن النديم، ومعجم الأدباء لياقوت، لكنْ أبو منصور الثعالبي[٨] والعلامة النويري[٩] تكفَّلا بتعريفنا بها ونقَلا جملًا منها بالحرف الواحد، ونسبتها إلى مؤلفنا حسبما نشير إليه في محله.

---

[٧] راجع: كتاب «أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم» للمقدسي، طبعة ليدن سنة ١٨٧٧، ص٢٤١.

[٨] «ثمار القلوب».

[٩] «نهاية الأرب».

على أنَّ «التَّبصُّر بالتِّجارة» ليس بأوَّل كتاب للجاحظ لم يذكر بين مؤلفاته «خصائص البلدان» له — وهو غير «كتاب البلدان» — لم يرد اسمه بعد في قائمة ما نسب إليه ياقوت في معجمه، وقد نقل عنه أبو منصور الثعالبي كثيرًا.[١٠]

أجل! كثيرًا ما يستعمل الجاحظ ألفاظًا دخيلةً في غضون مُصنفاته، وقد وقع جانب عظيم منها في رسالته هذه في التعريف بمسميات أجنبية، وهو أمر مُتعارف جرت به عادة الكُتَّاب والمؤلفين في عصر الدولة العباسية، فلطالما استعملوا اصطلاحات ومعربات جُلها فارسي المأخذ؛ لقرب بلاد إيران من العراق، ولقد تتبع صديقنا ساكن الجنان العلامة أحمد تيمور باشا أثر بعض المعربات الواردة في كتاب «نشوار المحاضرة» للتنوخي، فعقد لشرحها فصولًا ممتعة نشرها في مجلة المجمع العلمي الدمشقية.[١١]

وقد حاولنا شرح ما ورد ضمن هذه الرسالة من غريب الدخيل على قدر الاستطاعة والجهد، ويا حبذا لو توفَّق من أبناء العربية مَن يضع لنا مُعجمًا لغويًّا يُوضِّح لنا به السَّبيل إلى فهْم ألفاظ الدخيل والمصطلحات التي كانت مُستعملة في القرون الوسطى الإسلامية، مثلما فعل المستعرب الهولاندي دوزي في «مستدركه على المعاجم العربية»، وهي أمنية طالما أبداها كلُّ مَن يُعاني استقراءَ تصانيف الدور العباسي.

أمَّا الأصل المنقول عنه فهو مثبت في ضمن مجموع خطي محفوظ بالمكتبة العمومية (مكتبة سوق العطارين) في حاضرة تونس، وهذا المجموع يحتوي على أذكار وأدعية، وذكر بعض الغزوات، ثمَّ رسالة حافلة في الخط وتصاريفه من تأليف الوزير العباسي الشهير أبي عبد الله علي بن مقلة، ثمَّ كتاب «التبصُّر» هذا، ثمَّ شرح قصيدة أبي الفضل ابن النحوي التوزري المعروفة بالمنفرجة من وضع الإمام علاء الدين علي بن جمال الدين البصري الشافعي نزيل دمشق ختمه خلال سنة ٨٧٣هـ، وفيما يظهر أنَّ كامل المجموع بخط يد هذا الشَّارح، وهو خط شامي مُعتاد تغلب عليه الصحة إلا في الأعلام والدخيل والمعربات.

وبالرغم من بحثي الشديد للوقوف على نسخة ثانية من كتاب «التبصُّر»، فإنِّي لم أظفر بها، فاقتصرت على إيراد ما هو موجود هنا.

---

[١٠] ثمار القلوب، ص٤٣٨، وص٤١١.

[١١] تفسير الألفاظ العباسية، مجلة المجمع العلمي العربي، جزء تشرين أول سنة ١٩٢٢، ص٢٨٩ وما بعده.

وقد بذلت جهدي في إكساء هذا الأثر الجليل الثَّوبَ الذي يليق به إحياءً لذكرى واضعه الخالد، وهو سبحانه ولي التوفيق.

حسن حسني عبد الوهاب الصمادحي
تونس

**بسم الله الرحمن الرحيم**

كتب أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ البصري:

سألتَ — أكرمك الله — عن أوصاف ما يُستظرف في البلدان من الأمتعة الرفيعة، والأعلاق النفيسة، والجواهر الثمينة المرتفعة القيمة؛ ليكون ذلك مادةً لمن حنَّكته التجارب، وعونًا لمن مارسته وجوه المكاسب والمطالب، وسميته بكتاب «التبصر»، والله ولي التوفيق.

زعم بعض المحصِّلين من الأوائل أن الموجود من كل شيء رخيص بوجدانه، غالٍ بفقدانه إذا مسَّت الحاجة إليه.

وقالت الروم: إذا لم يُرزق أحدكم في أرض فليتحول إلى غيرها.

وقالت الهند: ما من شيء كثُر إلا رخص ما خلا العقل فإنه كلما كثُر غلا.[1]

وقالت العجم: إذا لم تربحوا بتجارة فاعتزلوا عنها إلى غيرها، وإذا لم يُرزَق أحدُكم بأرض فليستبدِل بها.[2]

---

[1] نسب أبو منصور الثعالبي هذه الكلمة إلى نصر بن سيار والي خراسان، لكنه أورد لفظ «الأدب» بدل «العقل» (كتاب الإعجاز والإيجاز: طبعة مصر، سنة ١٨٩٧، ص٧٦).

[2] نقل أبو منصور الثعالبي جُمَلًا من الفصول التي أوردها الجاحظ هنا، ولم يَعزُها لأحد، ولا شك أنه اقتبسها من هذا التأليف. قال الثعالبي في فصل «التجار والسوقة» من كتابه «التمثيل والمحاضرة»: «إذا لم تُربِحك تجارةٌ فاعدل عنها إلى غيرها، وإذا لم تُرزَق بأرض فاستبدل بها.» وقال: «الرابِحُ في كل سوقٍ البائعُ لِما يَنفُق فيها.» وقال: «مَن اشترى ما لا يَحتاج إليه باعَ ما لا بدَّ منه». وقال: «شارِكوا الذي أقبلتْ عليه الدنيا فإنه أجلبُ للرزق.» ومِن هنا يظهر أن ما نقله الثعالبي هو عينُ ما أورده الجاحظ بتغيير قليل في اللفظ.

وقالت الفرس: الرابِح في كل سوقٍ هو البائعُ لِما يَنفُق فيها.

وقالت العرب: إذا رأيتم الرجلَ قد أقبلتْ عليه الدنيا فالْصَقوا به؛ فإنه أجلبُ للرزق.

وقيل لبعض المياسير: بِم كثُر مالُك؟ قال: ما بِعتُ بنسيئة قط، ولا رددتُ ربحًا وإن قلَّ، وما وصل إليَّ درهم إلا صرفته في غيرها.[٣]

وكما يُقال: لا تشتروا ما ليس لكم إليه حاجة فيوشك أن تبيعوا ما لا تستغنون عنه.

وزعم بعض الحكماء أنه وُجد في وصية الفرس: أيها الإنسان، ليس بينك وبين بلد أنت به نسبٌ، فخيرُ البلدان ما وافقك،[٤] وخير الدهر ما أصلحك، وخير الناس مَن نفعك، وخير الماء ما أرواك، وخير الدواب ما حملك، وخير الثياب ما سترك، وخير التجارة ما أربحك، وخير العلم ما هداك، وأحسنُ الحَسَنِ ما استحسنتَه وإن كان قبيحًا، وكان يُقال: خير الصناعة الخزُّ،[٥] وخيرُ التجارة البَزُّ.

[٣] كذا بالأصل، وكأن المؤلف أعاد الضمير إلى التجارة؛ ولذا أجعله مؤنثًا.

[٤] نقل الشريشي (شرح مقامات الحريري ١، ١٠٢)، وكذا الصفدي (الغيث المنسجم في شرح لامية العجم ٢، ٧٦) هذه الجملة، ولم يذكر قائلها، وكأن الجاحظ يشير إلى كلام عثمان بن عفان — رضي الله عنه — حين سُئل عن كثرة أرباحه، فقال: لم أردَّ مِن ربحٍ قط ولو قلَّ (راجع كتاب البخلاء للجاحظ: ص١٦٢).

[٥] بالأصل: الخرز. وأظنه تحريفًا من الناسخ، والصواب: الخز، لتحصيل القافية والمعنى.

# باب معرفة الذهب والفضة وامتحانهما

قال الحكيم:[1] يُستحب من الذهب سبيكه، وغير سبيكه، وأن يكون كنارٍ خامدة وشعاع مركوم وكبريت قانئ،[2] وإنما دامت دولتُه لأنه لا يدحضه خبث الكِير ولا يُفسده مَرُّ الدهور. وقيل إنما صار الذهب ثمينًا لقلة تغيره وازدياد نضارته وحسنه إذا عتق؛ ولأن الأشياء تنقص عند المس والدفن ما خلا الذهبَ؛ فإنه لا ينقص ألبتة.

وخير الدنانير العُتُق الحُمْر إلى الخضرة، وزعم بعض الأوائل أنما يُمتحن الدينار بلصوقه الشعر واللحية وصعوبة استمراره فيهما، والنبهرج[3] من الدنانير يُعتبر بخفته وثقله.

وزعموا أن خير الذهب العقيان وخير الفضة اللُّجَين، ومذاق الفضة الصافية عذبٌ، ومذاق الزيوف مرٌّ صَدِئٌ، والنبهرج من الدراهم مالحٌ جَرَسِيُّ الطنين، والفضة صافية الطنين لا يشوبها صَمِمٌ، وهي تقطع العطش إذا مُسكت في الفم.

---

[1] كثيرًا ما يبتدئ الجاحظ الكلامَ بقوله: قال الحكيم، أو قال، وفي ظني أنه لا يقصد بذلك إلا نفسه كما هو هنا. يتضح ذلك لمن تتبع تآليفه لا سيَّما كتاب الحيوان.

[2] هذا الوصف يشبه كثيرًا ما ذكره المؤلف في كتابه الحيوان (ج٥، ص٣٣)؛ حيث قال: وإذا وصفوا حُمرةَ الذهب قالوا ما هو إلا نار … وشعاع مركوم … وهو الكبريت الأحمر. ومن هنا يُستدل على أن الجاحظ كثيرًا ما يعيد الكلام بعينه في تضاعيف تصانيفه من غير أن يشعر بذلك، وأنه كان قليل المراجعة لما يكتب.

[3] النبهرج: معرَّب نبهره الفارسية، هو الدينار أو الدرهم المموَّه الزيف الردي (راجع كتاب شفاء الغليل للخفاجي وغيره). وفي كتاب البخلاء للجاحظ (ص٦٩): دينار بهرج، وهو صحيح أيضًا.

# باب ما يُعتبر من الجواهر النفيسة ومعرفتها وقيمتها

زعموا أن معرفة جوهر اللؤلؤ أنك تجد مذاقته على ضربين: عذْب المذاقة عُمانيٌّ، وملح المذاقة قُلْزُميٌّ، كلاهما يرسُب في الماء، والمعمول منه تجده مُرَّ المذاق مع دسومة فيه، وهو خفيف الوزن يطفو على الماء.

وزعموا أن اللؤلؤة إذا كان في باطنها دودة فإنك تجدها حارَّة المص واللمس، فإن ذلك للعلة النفسانية، وإذا لم يكن بها دودة كانت باردة المص واللمس، وامتحانها بذلك.

وزعم البحريون أن اللؤلؤ الكبار المتغير اللون تلُفُّ عليه الأَلْيَة الطرية المشرحة، وتُؤخذ في جوف عجين ويُدخل التنور ويُبالغ في إحمائه؛ فإنه يصفو ويَحسُن ويعود إليه الماء، وإذا بُخِّر بكافور كان ذلك، وإذا عُولج بمخ العظم وبماء البِطِّيخ فإنه يصفو.

ومعرفة اللؤلؤ اللحمي الجوهري من الصَّدَفي العظمي هو أنَّ الجوهري يكون مستويَ الصورةِ ليِّنًا أملسَ، والعظميَّ يكون خشنًا غير مستوي الهيكلِ.

وخير اللؤلؤ الصافي العُماني المستوي الجسد، الشديد التدحرج والاستواء، وإذا كانت حبتان متساويتين في الشكل والصورة واللون والوزن كان أرفع لثمنها. والعُماني أنفسُ وأرفع من القُلْزُمي؛ لأن العُماني عَذبٌ نقي صافٍ، والقُلْزُمي فيه ملوحةٌ مع عيب كثير.[1]

---

[1] على ذكر اللؤلؤ القُلْزُمي قال أبو العباس أحمد التيفاشي التونسي، المتوفَّى سنة ٦٥١، في كتابه «أزهار الأفكار في جواهر الأحجار» (خط بمكتبتي): «وكذلك ما يوجد من الجوهر ببحر القُلْزُم وسائر بحار الحجاز فرديء، ولو كانت الدُّرة منه في نهاية الكِبَر، فإنها لا يكون لها طائل في الثمن؛ إذ ليس فيها شيء من أوصاف الدُّر النفيس.»

وإذا بلغت الحبة نصف مثقال سُمِّيَت دُرَّة، والمدحرجة المعتدلة في التدور إذا بلغ وزنُها نصف مثقال ربما بلغت في الثمن ألف مثقال ذهبًا، والبيضيَّة دون ذلك في الثمن، وأثمانها ترتفع على زيادة وزنها وتدحرجِها، وإذا بلغ وزنُها مثقالين إن شئت جعلت ثمنها عشرة آلاف دينار، وإن شئت مائة ألف دينار، والمدحرجة على هذا الوزن والصفة لا قيمة لها، وهي فريدة، وكلما كانت أصفى وأنقى كان أرفعَ لثمنها وأنفسَ، والدُّرة اليتيمة قُلْزُمية، زعموا أن وزنها ثلاثة مثاقيل، والصغار من اللؤلؤ مرجانُهُ.[٢]

وخيرُ الياقوتِ البهرمانيُّ،[٣] ثمَّ الأحمرُ المورَّد، ثمَّ الأسمانجوني[٤] وأَدْوَنُه الأبيضُ. والياقوت من جبل سرنديب بالهند، وتُعرف اليواقيتُ من المعمولات بخصالٍ ثلاث: بِرزانتِها في الوزن، وبرودتِها في الفم عند المص، وعملِ المِبْرد فيها؛ لأن الياقوت حجرٌ ثقيلٌ باردٌ في الفم، بطيءٌ عملُ المبردِ فيه، والمعمول منها يكون خفيفَ الوزن، حارَّ المص، سريع المبرد فيه.

وخيرُ الياقوتِ الصافي النقي المضيء من أي لونٍ كان، وارتفاع القيمة على قدر كِبرها وصغرها،[٥] والياقوت الأحمر البهرماني الصافي إذا بلغ وزنه نصف مثقال ربما بلغ في الثمن خمسة آلاف دينار.

وكان وزن فص الخاتم الذي يُسمَّى «الجبل» مثقالين، قُوِّمَ بمائة ألف دينار، واشتراه أبو جعفر المنصور بأربعين ألف دينار.[٦] والياقوت الأسمانجوني ربما بلغ الفصُّ منه مائتي دينار.

---

[٢] قال التيفاشي في كتابه المذكور: «والمَرجان في لغة العرب صغارُ الدُّر، وهو اللؤلؤ الدق.» واستشهد بأبيات لامرئ القيس، وقيل إنه أولُ شعر قاله، منها:

فأعزلُ مَرجانَها جانبًا وآخذُ من دُرِّها المستجادا

ولفظ المرجان معرب عن اليونانية، وأصله Marginto، وفي اللاتينية Margarita، وأُطلق اسم المَرجان فيما بعدُ على العروق الحُمر التي تطلُع من البحر، ويُتخذ منها الحلي والأعلاق والسبح.

[٣] البهرمان: فارسي معرَّب معناه: أحمر اللون. قال التيفاشي: «والياقوت البهرماني هو أحمرُ نقيُّ الحُمرة لا تشوبها شائبة، والبهرمان اسم العصفر، به سُمِّيَ هذا الصِّنف من الياقوت.»

[٤] الأسمانجوني: فارسي معرب من كلمتين: «آسمان» أي السماء، و«كون» لون، ومعناه أبيض بزرقة كلون السماء.

[٥] كذا في الأصل، ولعله ضمير المؤنث في قوله: كبرها وصغرها، عائد على ياقوتة.

وخير الزبرجد الشديد الخضرة، الصافي الجوهر، ومعرفة الزبرجد الفائق من المعمول المتخذ كمعرفة اليواقيت، برزانتِه وبرودة مذاقته وعمل المبرد فيه على مهل. والمعمول منه رخو، خفيف الوزن، حارٌّ في المذاق، يسرع المبرد فيه.

وزعموا أن خيرَ الزبرجدِ الناضرُ الصافي النقيُّ، فإذا بلغ وزن قطعة منه نصفَ مثقال بلغ في الثمن ألفي مثقالٍ ذهبًا، وارتفاع القيمة على مقدار كِبَره وصِغَره.

وكان فص الخاتم الذي يُسمَّى «البحر» وزنه ثلاثة مثاقيل، اشتراه أبو جعفر المنصور بثلاثين ألف دينار، وهو اليوم في خزانة بعض الخلفاء.

وخيرُ الفيروزجِ الشيربامُ[٧] الأخضر الأسمانجوني الصافي العتيق، والفيروزج حجر لا يعمل المبردُ فيه، ولا يتغير في النار والماء الحار، وغايةُ ثَمَنِ فص فيروزج إذا بلغ وزنه نصف مثقال عشرون دينارًا.

وخيرُ العقيقِ اليمانيُّ الشديدُ الحمرةِ الذي يُرى في وجهه شِبْه الخيوط، وكلَّما كان أصفى وأضوأ كان أجودَ في الثمن.

وخيرُ البيجاذي[٨] الأحمرُ الشديدُ الحمرةِ، الملتهبُ لونُه التهابَ النارِ، وكلما كان أصلبَ وأكبرَ كان أنفسَ وأثمنَ، والمعمولُ منه رخو، وامتحان جودته من رداءته أنك إذا قرَّبته من الريش احتمله، وكلما كان أحمل للريش كان أجودَ، وغايةُ ثَمَنِ فصٍّ بيجاذيٍّ فائقٍ إذا بلغ وزنه نصف مثقالٍ ثلاثون دينارًا. والجوهر النفيس لا قيمة له، وذلك لاتساع ضوئه وانتشار شعاعه بالليل.

---

[٦] نقل أبو منصور الثعالبي من هذا التأليف فصولًا وفقراتٍ عديدةً ببعض التصرف، نسب بعضها إلى الجاحظ وغفل عن كثير منها، فمن ذلك قوله: زعم الجوهريون (؟) أن الياقوت لا يكون إلا من جبل سرنديب بالهند، وخيره الأحمر البهرماني، ثمَّ الوردي، ثمَّ الرماني، وإذا بلغ البهرماني نصف مثقال كان قيمته خمسة آلاف دينار، وكان وزن الفص الذي يُسمَّى «الجبل» مثقالين قُوِّمَ بمائة ألف دينار، فاشتراه المنصور بأربعين ألفًا (كتاب ثمار القلوب: ص٤٢٤). ونقل الصلاح الصفدي من تأليفٍ لشيخه شمس الدين بن ساعد الأنصاري، وسمَّاه بـ «نخب الذخائر في أحوال الجواهر» جملةً مهمة جدًّا تتعلق بالياقوت وتكوينه وأصنافه وأثمانه، جاء في ضمنها: وكان في خزانة الأمير يمين الدولة محمود ياقوتة شكلها شكل حبة العنب، وزنها اثنا عشر مثقالًا، قُوِّمَت بعشرين ألف دينار، وكان للمعتصم العباسي فصٌّ يُسمَّى «ورقة الآس» لأنه كان على شكلها، وزنها مثقالان إلا شعيرتين، اشتراه بستين ألف درهم (كتاب الغيث المنسجم ١، ٨٣).

والبِلَّوْر يُختار لصفائه وعِظَمه، وخيرُ الزجاجِ البلوريُّ الصافي الأبيُّ النقيُّ، والفرعونيُّ الفائقُ،[٩] وخيرُ الماس[١٠] البلوريُّ الصافي الأبيضُ النقيُّ، ثمَّ الأحمرُ، وإذا بلغ وزنه نصف مثقال بلغَ في الثمن مائة دينار، وكلما كان أكبر وأعظم كان أبلغ في الثمن وأرفع.

---

[٧] شيربام: فارسي معرَّب مركَّب من لفظين، ومعناه «لون اللبن».

[٨] البيجاذي: حجر كريم أحمر اللون يشبه الياقوت، فيه خاصية الكهرباء في جذب التبن، وأصله في الفارسية «بيجاذة» وهو اسم الكهرباء، وقد عُرِّب قديمًا، وورد في أشعار العرب. قال الفرزدق (الأغاني: ط بولاق، ج١٩، ص٢١):

أغرَّك منها لوثةٌ عربية  علتْ لونَها إن البجادي أحمرُ

راجع معجم المجموعة الجغرافية العربية، تأليف المستشرق دي خوي، طبعة ليدن، ص١٨٤ (Indices, Glossarium–Bibl. Geogr. Arab)، وانظر أيضًا التعليق الجميل الذي وضعه صديقنا العلامة المحقق المغفور له أحمد تيمور باشا على هذه الكلمة في تفسيره للألفاظ العباسية (مجلة المجمع العلمي الدمشقية، ج٧، ص٢٠٤، من سنة ١٣٣٩). وقال ابن عبد ربه: ومدينة بلخ بخراسان بها معادن البيجادي العتيق، وهو جنس من الفصوص تسمِّيه العامة البزادي (العقد الفريد ٣، ٢٥٧).

[٩] ورد ذكر الزجاج الفرعوني في كتاب «الحيوان» للجاحظ ٣، ص١١٦.

[١٠] الماس: يوناني معرَّب، وهو الديامنت، وقد ورد ذكره في الحديث الشريف (النهاية لابن الأثير، ج٤، ص٧٩). وقال التيفاشي: الماس نوعان: الزيتي والبلوري، والزيتي أجودهما، والبلوري أبيضُ شديدٌ كلونِ البلور، والزيتي مخالطٌ ببياضه صفرةٌ كلون الزيت، وهو شبيه بلون الزجاج الفرعوني (كتاب أزهار الأفكار – خط).

# باب معرفة الطِّيب والعِطر والروائح الطيبة

زعموا أن خيرَ العودِ الهنديُّ المَندَليُّ[١] الذي لا غِشَّ فيه، وكلما كان أصلب فهو أجود، وامتحان جودته بحدة أرَجِه وشدة رائحته. وزعموا أن خيرَ العودِ الهنديُّ الثقيلُ الوزنِ الذي يرسُب في الماء، وأَدْوَنَه الخفيفُ الوزنِ الذي يطفو على رأس الماء، والخفيف الوزن عندهم ميت لا روح فيه وهو ضعيف الرائحة، والثقيل الوزن منه له ذكاء وقوة أَرَج ورائحة.

وخيرُ المسكِ التُّبتيُّ[٢] اليابسُ الفائحُ، وأردؤه البُدِّي، وغِش المسك مِن الآنُكِ،[٣] وجندَ بادستر،[٤] ودمِ الأخوين،[٥] وسياه دارو،[٦] وكلما خفَّ وزنه وفاح فهو أجود.

---

[١] المندلي: منسوب إلى «مندل»، وهو بلد بالهند يُجلب منه العود الذكي الشذا (راجع معجم البلدان لياقوت، لفظ مندل. وشفاء الغليل). وقال أبو منصور الثعالبي: وفي كتاب «العطر» للجاحظ: وخيرُ العودِ الهنديُّ المَندَلي، وكلما كان أصلبَ فهو أجودُ، وامتحان جودته إذا كانت فيه رطوبة، ومن خصائصه ثباتُ رائحته في الثوب أسبوعًا وأكثر (ثمار القلوب، ص٤٢٣).

[٢] بالأصل: التبي، وهو تحريف، وصوابه التبتي. وفي المحاسن والأضداد (باب محاسن الهدايا، ١٧٩): وكان مما تهديه ملوك الأمم إلى ملوك فارس طرائفُ ما في بلدهم، «فمن الهند الفِيَلَة والسيوف والجلود، ومن التبت المسكُ والحرير والأواني، ومن السند الطواويسُ والببغاءُ، ومن الروم الديباجُ والبُسُط. ويؤيده ما نقل الإصطخري وابن حوقل؛ حيث قالا: ولهم (أهل ما وراء النهر) من المسك الذي يُجلب إليهم من التبت وخرخيز ما يُنقل إلى سائر الأمصار، فيفوقُ غيره من المسوك ثمنًا وجودةً (المسالك والممالك للإصطخري: طبعة ليدن، سنة ١٨٧٠، ص٢٧٠ و٢٨٨. والمسالك والممالك لابن حوقل: طبعة ليدن، سنة ١٨٧٢، ص٣٢٧ و٣٣٧).

وزعموا أن خيرَ العنبرِ الأشهبُ الزابحي،[٧] ثمَّ الأزرقُ، ثمَّ الأصفرُ، وأَدْوَنَه الأ... (هنا ورقة كاملة من الأصل بها ثلاثون سطرًا تعطَّلت قراءتها لانخرام كتابتها واستيلاء الزاج على أحرفها بحيث لم يتيسر نقلُها بأي وجه، ولم يبقَ ظاهرًا منها سوى ما هو مرسوم بالحمرة — في السطر السابع عشر — وهو: باب معرفة الثياب وما يُستجاد منها).

... وخيرُ الوشي (في الثوب) السابريُّ،[٨] والكوفي، والإِبْرَيْسَمي، والمذهَّب المنسوج ثمَّ الوشي الإسكندراني الكتان البحت،[٩] ثمَّ الوشي الغزلي، ثمَّ الذي لا إِبْرَيْسَم فيه ولا ذهب،

---

[٣] آنُك: فارسي معرَّب وهو الرصاص. وعند ابن البيطار: الرصاص ضربان، أحدهما الرصاص الأسود وهو الآنُك، والآخر هو الرصاص القَلْعِي وهو القصدير (جامع مفردات الأدوية، طبعة مصر ٢، ١٤٠).

[٤] جند بادستر: فارسي معرَّب، وهو مثانة حيوان بري بحري يكون في الأنهار العِظَام يُسمَّى القندر (وعند الإفرنج Castor)، وخُصَاه هي الجند بادستر (الدميري ٣، ٢١٧؛ وابن البيطار ١، ١٧١).

[٥] دم الأخوين: قال ابن البيطار بالنقل عن أبي حنيفة الدينوري: هو صمغٌ أحمرُ لشجرة يُؤتى به من سقطرى. ثمَّ قال: هو الأيدع عند الأطباء، ويُقال له الشيان أيضًا (جامع المفردات ١، ٧٢ و٢، ٩٦). قلتُ: والمعروف أن دم الأخوين هو العَنْدَم عند قدماء العرب، وقيل هو البَقْم.

[٦] سياه دارو: ويُكتب أيضًا: سيادرو، وفي القانون لابن سينا سيادوان. فارسي معرَّب، وهو صمغ الجوز الشامي (راجع كشف الرموز لابن حمدوش: ط حجر بالجزائر ١٣٢١، ص٩٩).

[٧] الزابحي: سمَّى القلقشندي من أنواع العنبر ستة أضرب، أولها الشحري ثمَّ الزنجي (قلتُ: وهو لا محالة تحريف الزابحي أو الرابحي)، وهو أجود العنبر وأفضله (صبح ٢، ١١٧ و١١٨). وجاء في تاج العروس: «والرباحي جنس من الكافور» منسوب إلى بلد كما قاله الجوهري، وصوَّبه بعضهم، أو إلى مَلِكٍ اسمه رباح اعتنى بذلك النوع من الكافور وأظهره (تاج ٢، ١٤٠) وفيه: ورباح موضع بالهند يُنسب إليه الكافور، وبَسط بحثًا طويلًا في الغلط الحاصل في الصحاح للجوهري؛ إذ نسب تارة الرابحي إلى بلد بالهند، وتارة إلى دويبة يُجلب منها الزُّبْد. وذكر ابن البيطار — في مادة كافور وعنبر — أن الرباحي مشتق من اسم ملك هندي اسمه رابح (جامع المفردات ٢، ٣٣٤). وقال داود الأنطاكي: وَيُسَمَّى الرياحي لتصاعده مع الريح، وقيل الرباحي — بالموحَّدة — نسبة إلى رباح أحد ملوك الهند أول مَن عرفه (تذكرة، مادة كافور). وقال دوزي في مستدركه على المعاجم العربية: إن بعض المصنفين يسميه أيضًا الزياحي.

الاختلاف في اسم الزابحي أو الرابحي قديمٌ، ولا يُعرف على وجه التحقيق نسبته؛ ولذا احترمنا هنا الصيغة الواردة في الأصل مع التنبيه عليه، ووقفنا أخيرًا على فصل ممتع نشره العلامة المحقق الأب أنستاس ماري الكرملي، كشف فيه الغطاء عن معنى الرباح ووجه اشتقاقه، وأثبت أن أصلَ اللفظ «الزابجُ»، وهو اسم جزائر ماليسية (جاوه وسومطرة وبرنيو) عند قدماء العرب، والنسبة إليه زابجي، فحرَّفه النُّساخ والمؤلفون المتأخرون فقالوا الزابخي والرابحي، وغير ذلك (راجع مجلة المجمع العلمي الدمشقي، ص٢٣٢، من سنة ١٣٣٩).

وهو اليماني لأنه يرتفع على هذه السبيل من الغزلي، والإبْرَيْسَمي الكتان لا يبلغ في الثمن ما يبلغه اليماني؛ لأنه ربما بلغ الثوب الغزلي ألف دينار.

وخيرُ السنجابِ[١٠] القاقُمُ،[١١] ثمَّ الظهور منه، ثمَّ الخزري،[١٢] ثمَّ الخوارزمي، ثمَّ الذي لا غِشَّ فيه من زَغَب الأرانب.

وخيرُ الثعالبِ الأسودُ[١٣] الخزري الغليظ الشعر، الذي لا يُغش بصبغ، ثمَّ الأبيض، ثمَّ الأحمر المحصري،[١٤] ثمَّ الأحمر الخزري، ثمَّ الخلنجي.[١٥]

وخيرُ القاقُمِ أكثرُها أذنابًا. وخيرُ السمورِ الصينيُّ، ثمَّ الخزريُّ الشديدُ البياضِ مع شدة السوادِ الطويلُ الشَّعرِ.

---

[٨] السابري: نسبة إلى سابور، وفي حديث حبيب بن أبي ثابت، قال: رأيت على ابن عباس ثوبًا سابريًّا استشف ما وراءه. وكل رقيق عندهم سابري، والأصل فيه الدروع السابرية منسوبة إلى سابور (النهاية لابن الأثير ٢، ١٥٢). وفي التاج: والسابري ثوب رقيق جدًّا. قال ذو الرمة:

فجاءت بنسج العنكبوت كأنه  على عصويها سابري مشبرق

ومنه المثل: عرض سابري؛ أيْ رقيق جدًّا (تاج ٣، ٢٥٢). وقال أبو منصور الثعالبي: والسابري، وهو الرقيق الناعم من كل ثوب، والأصل فيه النسبة إلى نيسابور، وعُرِّب فقيل سابري (ثمار القلوب، ص٤٢٩).

[٩] نقل أبو منصور الثعالبي العبارة الآتية في لفظ «كتان مصر»، ولم يذكر عن أي تأليف للجاحظ نَقل. قال: قال الجاحظ: قد عِلم الناس أن القطن لخراسان، وأن الكتان لمصر، ثمَّ للناس في ذلك في تفاريق البلدان ما لا يبلغ مقدار بعض بلاد هذين الموضعين، وربما بلغت قيمة الحِمْل من دِقِّ مصر الذي من الكتان لا غير مائة ألف درهم (ثمار القلوب، ص٤٢. وراجع أيضًا كتاب «ما يعول عليه في المضاف والمضاف إليه» للمحبي، بمكتبتي).

[١٠] السنجاب: قال القلقشندي: حيوان أكبر من الفار، يعيش في الشجر العالي، فيها يأوي ومنها يأكل، وهو كثير في بلاد الإفرنج والصقالبة، ووَبَره في غاية النعومة، وجلده في نهاية القوة. ويُتَّخذ منه الفِراء النفيسة التي يَلبَسها الناس والرؤساء، وأحسنُ ألوانهِ الأزرقُ (صبح الأعشى ٣، ٥٠). أقول: وهو المُسَمَّى باللاتينية Scuriolus وبالفرنسية Ecureuil.

[١١] القاقُم (بقافين، الثانية منهما مضمومة): هو دُويبة في قَدْر الفار، لها شَعرٌ أبيضُ ناعمٌ، ومنه يُتخذ الفِراء، وهو أعز قيمةً من السنجاب (صبح ٢، ٤٩).

[١٢] الخزري: نسبة إلى بحر الخزر، وما كان حوله من البلاد.

وخيرُ الفرشِ وأرفعُهُ ثمنًا وأجودُهُ المِرعزَّى[١٦] القرمزيُّ الأرمنيُّ المُنَيَّرُ، ثمَّ الخزُّ الرَّقْم، ثمَّ الخزُّ القُطوع،[١٧] ثمَّ الديباج على عمل الخسراوني[١٨] الرومي، ثمَّ الخز المدبج على الميساني، ثمَّ البُزْيُون.[١٩] ومهما كان من هذا الضرب منسوجًا بالذهب فهو أجودُ وأبلغُ في الثمن، وقد تكون هذه الضروب كلُّها منسوجةً بالذهب الأرمني والميساني والبُزْيُون.

وخيرُ البُزْيُونِ المسكيُّ الدقيقُ النسجِ، ثمَّ المخططُ، ثمَّ المُفَلَّسُ،[٢٠] ثمَّ الساذجُ، ثمَّ المُعَيَّنُ،[٢١] ثمَّ المنقطُ. والغفارة المُسكيَّة إذا كانت رقيقةَ العملِ نقيةً رُبَّما بلغت في الثمن خمسين دينارًا.

---

[١٣] قوله: خيرُ الثعالبِ الأسودُ، جاء في كتاب الحيوان للجاحظ (ج٦، ص١٠٠): وفي الثعلب جِلْده، وهو كريم الوَبَر، أغلى من الثعلب الأسود، وهو ضروب؛ فمنه الأبيض الذي لا يُفصل بينه وبين الفَنَك، ومنه الخلنجي وهو الأعم.

[١٤] كذا بالأصل، وأظنُّه غلطًا من الناسخ، وصوابه «الممصري»؛ أي المصبوغ بالمصرة، وهي العصفر. وقال ابن سيده: والثوب الممصر هو المصبوغ بالطين الأحمر أو بحمرة طفيفة (المخصص ٤، ٩٤).

[١٥] الخلنجي: المقصود به الذي يشبه لونُه خشبَ الخلينج، وهو شجر معروف (ابن البيطار ٢، ٦٨). وقد عرَّف أبو الوليد المراكشي اللونَ الخلنجي بقوله: مخطط بسواد ودُخْنة (راجع مستدرك المعاجم العربية لدوزي، ج١، ص٤٠٠).

[١٦] المِرعزَّى والمِرعزاء — بكسر الميم — إذا خفَّفتَ مددتَ، وإذا شدَّدتَ قصرتَ، وأصله بالنبطية «مرعزًّا»، وقد تكلَّمت به العرب قديمًا. قال جرير من قصيدة يهجو بها التيم:

كساك الحنظليُّ كساءَ صوف ومرعزَّى فأنت به تفيد

أيْ تتبختر عجبًا (راجع المُعرَّب للجواليقي، ص١٣٧).

[١٧] القُطوع: جمع قَطْع، وهو ضربٌ من الوَشْي في الثياب (المخصص لابن سيده).

[١٨] الخسرواني: نوع من نسجِ الرقيقِ الحسنِ الصنعةِ، منسوب إلى عظماء الأكاسرة، فارسي معرَّب (المعرَّب للجواليقي، ص٦٠. وشفاء الغليل للخفاجي).

[١٩] البُزْيُون كعُصْفُور: السُّندس. وقال ابن بري: هو رقيق الديباج (تاج العروس ٩، ١٣٩).

[٢٠] وبالأصل: المقلَّص، وهو تحريف بيِّن. والمفلَّس بمعنى المختَّم والمزركَش على هيئة الفلوس، كما يُقال ثوب مُدنَّر ومُدَرْهَم؛ أيْ موشًّى على صورة الدنانير والدراهم.

[٢١] المُعَيَّن: ثوبٌ في وشْيِه ترابيعُ صغارٌ، شُبِّه بأعينِ الوحشِ (المخصص ٤، ٦٧).

وأبو قلمون[٢٢] من الزلالي[٢٣] الخسرواني الرومي القرمزي على خطوط مختلفة البنفسجي في الأحمر والأخضر، وزعموا أنه يتلوَّن ألوانًا بارتفاع النهار ووهج الشمس، والقيمة مرتفعة منه جِدًّا.

وخيرُ الأكسيةِ من الصوفِ المصريةُ، ثمَّ الخوزيةُ الفارسيةُ، والمِرعزَّى في المِرعزَّى الفارسيةِ: الشيرازيةُ، ثمَّ الأصفهانية، والمرعزَّى في الإبْرَيْسَم: الفسويةُ، ثمَّ الطبريةُ،[٢٤] ثمَّ الصوف في الصوف.

وخيرُ الطيالسةِ: الرويانيةُ الطبريةُ، ثمَّ الآمليةُ،[٢٥] ثمَّ المصرية، ثمَّ القومسية.[٢٦] وخيرُ اللُّبودِ الصينيةُ، ثمَّ المغربية الحُمْر، ثمَّ الطالقانيةُ البِيض،[٢٧] ثمَّ الأرمنيةُ، ثُم الخراسانية.

وخيرُ النمورِ البربريُّ الموشَّح الشديد بياضُه المشبَّعُ سواده، الطويلُ الوشي الساباني.[٢٨] وأظرفُ النمورِ الذي يكون في وسط سواده نقطةٌ سوداء صغيرة بيِّنة، وإن كان سواده متَّصِلًا بعضه بشظيَّة من سواد خفيفة كان أظرفَ له، وإذا كانت فيه حُمرة مع بياض يَقَقٍ وسوادٍ حالك كان أحسن وأبلغ في الثمن. ونمورُ البربرِ صِغارٌ، ومقدارُ الجِلد منها ما يغشِّي سَرْجًا مفردًا، ومنتهى ثمن الجِلد منه خمسون دينارًا، وأمَّا المغربية والهندية فهما أوسع وأكبر، ولا يبلغان في الثمن ولا يرتفعان، وخيرُ النمورِ الوشي، وخيرُ القطنِ الأبيضُ اللين الصُّعار الحبوب اللطيف البياض الصافي.

---

[٢٢] أبو قلمون: عرَّفه المرتضى الزبيدي بقوله: ثوب رومي يتلون ألوانًا للعيون. نقله الجوهري. وقال الأزهري: يترآى إذا أشرقت عليه الشمس بألوان شتَّى. وقال: ولا أدري لِمَ قيل له ذلك. وقد يُشبَّه به الدهر والروض وزمن الربيع (تاج العروس ٩، ٣١). أقول: لفظ أبو قلمون يوناني معرَّب، وهو في الأصل: Abokalamon. والنسيج المُسَمَّى أبو قلمون في المشرق هو المعروف في الديار التونسية بعُنق الحمام.

[٢٣] الزِّلِّيَّة — بالكسر — البِساط، ج زَلَالِيٌّ، كما في لسان العرب والعباب، وفي مستدرك التاج (مادة زلل، ج٧، ٣٥٩). والزُّلال: الصافي من كل شيء. قال ذو الرمة:

كأن جلودهن مموهات  على أبشارها ذهب زُلال

فكأن المقصود هنا من الزُّلالي الصافي اللون.

[٢٤] على ذكر الأكسية الطبرية نقل الجاحظ: إن قيمة الكساء الأبيض الطبري في عصره يساوي أربعمائة درهم، والقومسي منها مائة درهم (كتاب الحيوان ٣، ٨).

وزعم أن القرمز حشيشةٌ تكون في أصلها دودةٌ حمراء تنبُت في ثلاثة مواضعَ من الأرض:[٢٩] في ناحية المغرب بأرض الأندلس، وفي رستاق يُقال له تارم،[٣٠] وفي أرض فارس. ولا يعرف هذه الحشيشةَ وأماكنها إلا فرقةٌ من اليهود يتولون قلعَها كل سنة في ماه أسفندارمذ،[٣١] فتيبس تلك الدودة ويُصبغ بها الإبْرَيْسَم والصوف وغير ذلك، وخير ما يُصبغ في الأماكن بأرض واسط.

---

[٢٥] قوله: الطيالسة الرويان، وهي مدينة من نواحي قزوين (الإصطخري: ص٢٠٦؛ وابن حوقل، ٢٦٩). وكذا الآملية نسبة إلى آمل، وهما مدينتان بهذا الاسم: الأولى عاصمة طبرستان، وهي المقصودة هنا، مشهورة بضأنها وصوفها ومنسوجاتها (المقدسي، ص٣٣٥؛ وابن حوقل، ٢٧١)، والثانية: مدينة في غربي جيحون في سمت بخارى، بينها وبين جيحون نحو ميل.

[٢٦] القومسية: نسبة إلى قومس، من أكبر مدائن الديلم. قال ابن حوقل: ويرتفع من قومس أكسية معروفة تُحمل إلى الأمصار، وهي فاشيَة في جميع الأرض (المسالك والممالك، ص٢٧١). وقال المقدسي: قومس فلهم المناديل البِيض من القطن المعلمة صغار وكبار وسوانج ومحشاة، ربما يبلغ المِنديل منها ألفي درهم، ولهم أيضًا أكسية وطيالسة وثياب رِقاق من الصوف (كتاب أحسن التقاسيم: ص٣٦٧).

[٢٧] نقل أبو منصور الثعالبي هذه العبارة من هذا التأليف وعزاها إلى صاحبها، فقال: وذكر الجاحظ في كتاب «التبصُّر بالتجارة» أن خيرَ اللبودِ الصينيةُ، ثمَّ المغربيةُ الحُمْر، ثمَّ الطالقانية البِيض (ثمار القلوب، ٤٣٣). وتبعه النويري، فنقل عين العبارة المتقدمة عن الجاحظ، لكنه جعل اسم الكتاب «النظر في التجارة» (نهاية الأرب، ج١، ص٣٦٧)، وهو تحريف واضح لتشابه ما بين اللفظ «التبصر» و«النظر»، فليُنتَبه.

[٢٨] الساباني: نسبة إلى السابان، وهو في الفارسية الطائر المعروف بالزرزور، الذي ريشه منقَّط بنقطٍ بيضٍ ونقطٍ سودٍ. وبه شبَّه الجاحظ هنا المختَار من جلد النمور البربرية، كان أقرب إليه أن يقول في نعته زرزوري؛ أيْ في لون الزرزور، وهو عربي صريح.

[٢٩] عرَّف الرحالة ابن حوقل القرمزَ الأرمنيَّ بقوله: وهو صِبْغ أحمرُ يُصبغ منه المرعزَّى والصوف، وأصله من دود ينسج على نفسه مثل دود القز إذا نسجت على نفسها القز (المسالك والممالك، ص٢٤٤).

[٣٠] تارم: من مدائن فارس من ناحية شيراز، بينهما ٨٢ فرسخًا (الإصطخري، ص١٣١ وما بعدها؛ وابن حوقل، ص٢٠١ و٢٠٤ و٢٢٦؛ والمقدسي، ٤٢٣ و٤٢٦).

[٣١] ماه أسفندارمذ: هو اسم الشهر الثاني عشر من السنة الشمسية عند الفرس، واليوم الخامس منه هو «أسفندارمذ روز»، كان من الأعياد الكبيرة عند قدماء الفرس، وفيه كانوا يلتقطون الأعشاب من الجبال والأودية، ويتخذون الأدهان ويهيئون البخور والدَّخَن، وفيه تُكتب الرِّقاع لدفع الهوام والحشرات، فيكتبون من ظهور الفجر إلى طلوع الشمس رُقْية على كواغدَ مربعةٍ، ويلصقون منها على الجدران (راجع كتاب الآثار الباقية عن القرون الخالية للبيروني: طبعة ليبسيخ سنة ١٨٧٨، ص٢٣٩. وعنه نقل القزويني في كتابه «عجائب المخلوقات»، طُبع بهامش حياة الحيوان، ص١٢٨، وما بعدها). أقول: وهذه

وزعموا أن البَلَسَان شجر بأرض مصر، يُشرط في أيام الربيع فيَخرج منه دهن البَلَسَان فيُؤخذ منه، وهو مفقود في الأرض كلها ما خلا مصر.[٣٢]

وحَبُّ الزَّلَم[٣٣] ينبُت بأرض شَهْرَزُورَ، وزعموا أنه جيد للجماع، والقِرْمَاز شجرٌ بالفارسية بنجكشت (؟) قلما يُوجَد إلا ومعه الدِّفْلَى، وهو نبْتٌ يستخير بالدِّفَلى النابتة عنده يُقال له فازَهر؛[٣٤] فلذلك غُرس معه في موضع يكون به، وقيل حُمِلا جميعًا من الروم، وله قصة عجيبة طويلة.

---

العادة الفارسية القديمة لم تزل مُتَّبعة في البلاد التونسية مِن كَتْبِ رقاعٍ صغارٍ بها آيةُ السَّموم من القرآن، وذلك اليوم الأول من شهر مايو الأعجمي، ثمَّ يلصقونها بمدخل البيوت؛ دفعًا للعقارب والحشرات السامة.

[٣٢] البَلَسَان المصري، قال الإصطخري: وحوالي الفسطاط زرع ينبُت مثل القضبان يُسمَّى البلسم، يُتَّخَذ منه دهن البَلَسَان، لا يُعرف بمكان في الدنيا إلا هناك (الإصطخري، ٥٤). وجعله ابن حوقل في عين شمس خاصة (المسالك والممالك، ص١٠٦).

[٣٣] حَبُّ الزَّلَم: عرَّفه ابن البيطار بقوله: هو حَبُّ دسمٌ مفرطحٌ أكبرُ من الحِمَّص قليلًا، أصفرُ الظاهر أبيضُ الباطن، طيبُ الطعم، لذيذ المذاق، ويُجلب من بلاد البربر، وينبُت في ناحية شَهْرَزُور، وقد ينبُت منه شيء بصعيد مصر، يسمونه بالسقيط (جامع مفردات الأدوية ٢، ٤ و١٦٦). قلتُ: وهو المعروف عندنا في تونس بحَبِّ عزيز.

[٣٤] المشهور أن الفازهر حجر كريم لا نبات كما ورد هنا، وأنه صِنفان: حيواني ومعدني، وهو عند الإفرنج Bézoar. واسمه فارسي معرَّب، وأصله بازهر، ومعناه «منفي السُّم»، وقد ذكر معدِنَه وأوصافه وخواصه ومنافعه جماعةٌ من علماء الأحجار الكريمة، كابن البيطار في مفرداته، والتيفاشي في كتاب أزهار الأفكار، والقزويني في عجائبه، وسواهم كثير، فليُراجَع هناك.

# باب ما يُجلب من البلدان من طرائف السلع والأمتعة والجواري والأحجار وغير ذلك

يُجلب من الهند: البُبُور والنُّمور والفِيَلة وجلودُ النُّمْر، والياقوتُ الأحمر والصَّندل الأبيض والأبنوس وجوز الهند.[١]

ويُجلب من الصين: الفِرِنْد والحرير والغَضَائر[٢] والكَاغِد والمِدَاد والطواويس، والبراذِين الفُرَّه والسروج واللُّبُود والدَّارصِيني وأدارند[٣] الروم الخالص، ويُجلب منها أواني الفِضة والذهب والدنانير الخالصة القيسرانية، والعقاقير والبزيون والأبرون والديباج والبراذين الفُرَّه، والجواري وطرائف الشبه، والأقفال المحكمة واللورا[٤] ومهندسو الماء وعلماء الحراثة والأكَّارة وبُناة الرخام، والخِصْيَان.

---

[١] قال أبو منصور الثعالبي: ولبلاد الهند من الخصائص ما لم يكن لغيرها، فمنها الفيل والكركدن والبَبْر والببغاء والطاؤوس والدجاج الهندي، والياقوت الأحمر والصندل الأبيض والعاج والساج، والتوتيا والقَرَنْفُل والسنبل والفُلْفُل، وغيرها من العقاقير (ثمار القلوب، ٤٢٣).

[٢] الغضائر: جمعُ غَضَارة هي القصعة أو الصَّحْن الكبير ذو ساق يُتخذ من خزف، وأرفعُ الغضائر ما يُؤتى به من الصين كما نص عليه الجاحظ هنا؛ لاشتهارها وحُسْن صنعتها وجودة طليها وجمال رونقها. وقال شَمِرٌ: الغَضَار الطين الحمر نفسُه، ومنه يُتخذ الخزفُ الذي يُسمَّى الغَضَار. وقال ابن دريد: فأمَّا الغَضَارة التي تُستعمل فلا أحسبها عربية محضة (تاج العروس وغيره).

[٣] لفظ «أدارند» هنا لا معنى له، وأظنه تحريفًا من النَّاسخ، ويظهر أنَّه قصد الرَّاوَند. قال مرتضى: الروند الصيني وهو أنواع أربعة، أعلاها الصيني ودُونَه الخراساني، ويُعرف بروند الدواب، تستعمله البياطرة وهو خشب أسود، والأطباء يزيدونها ألفًا فيقولون «راوند»، ولفظه ليس بعربي محض (تاج ٢، ٣٥٩ و٣٦٠، مادة راد).

ومن أرض العرب: الخيل العِراب والنَّعَام والنَّجائب والقانة[٥] والأَدَم.[٦]

ومن البربر ونواحي المغرب: النمور والقَرَظ[٧] واللُّبُود والبُزَاة السُّود.

ومن اليمن: البُرُود والأَدَم والزَّرافات والجواميس[٨] والعقيق والكُنْدُر[٩] والخِطْر[١٠] والوَرْس.[١١]

ومن مصر: الحُمُر الهماليج[١٢] والثياب الرِّقاق والقراطيس ودُهن البَلَسَان، ومن المعدِن الزبرجدُ الفائقُ.

ومن الخَزَر: العبيد والإماء والدروع والبَيْضَات والمغافِر.

ومن أرض خُوارِزْم: المِسْك والقَاقُم والسَّمُّور والسِّنجاب والفَنَك وقَصَب الطِّيب.

---

[٤] كذا بالأصل، ولم أرَ لها معنًى، ولا شك أنَّ النَّاسخ حرَّف فلم يأتِ باللفظ على أصله، اللهم إلا أن يكون اللاذ واللاذة، وهي ثياب من حرير تُنسج بالصين تسميها العرب والعجم اللاذ (المخصص ٤، ٦٨). وفي القاموس اللاذة: ثوبٌ حريرٌ أحمرُ يُنسج بالصين.

[٥] القانة: وجمعها القان، وهو شجر جبلي ينبت بجزيرة العرب، زاد الأزهري: ينبت في جبال تِهَامة، ويُتخذ منه القِسِي (لسان العرب).

[٦] الأَدَم، ج أُدِيم: هو الجلد المدبوغ إذا كان عليه شعره أو صوفه أو وَبَرُه.

[٧] بالأصل: القرض، وهو تحريف واضح، وصوابه القرظ، وهو وَرَق السِّلَم تُدبغ به الجلود، وقيل هو السَّنْط يُعتصر منه الأقاقيا، وهو مما يُتداوى به (المعاجم اللغوية).

[٨] كذا بالأصل ولا أخالها إلا الجَوَاشن، ج جَوْشن، وهو الدِّرع من حديد. وقال ابن سيده: زَرَدٌ يُلْبَسُه الصَّدرُ والحَيْزُوم (المحكم، خط بالمكتبة الزيتونية في تونس).

[٩] الكُنْدُر: ضربٌ من العِلْك عن ابن سِيدَه، وهو اللُّبان عند الأطباء وغيرهم (تاج ٣، ٥٢٩).

[١٠] الخِطْر – بالكسر – نبات يُجعل ورقُه بالخِضَاب الأسودِ يُختَضب به، وقال أبو حنيفة: هو شبيهٌ بالكَتَم وكثيرًا ما ينبُت معه، واحدته خِطرة (تاج ٣، ١٨٣).

[١١] قال الثعالبي: ومن خصائص اليمن الزَّرافة، وكان الأصمعي يقول: أربعةٌ قد ملأت الدنيا ولا تكون إلا باليمن، الوَرْس والكُنْدُر والخطي والعقيق (كتاب ثمار القلوب، ٤٢٥). وقد جعل الناسخ هنا الخَطِّي — وهي الرُّمح — مكان الخِطْر، فليُنْتَبه.

[١٢] على ذكر الحَمير المصرية قال الإصطخري: وبمصر بِغال وحَمير لا يُعرف في شيء من بلاد الإسلام أحسن ولا أثمن منها، ولهم من وراء أسوان حَمير صِغار في مقدار الكباش ملمَّعة تشبه البِغال الملمَّعة، إذا خرجت من مواضعها لم تَعِش، ولهم حَمير يُقال لها «السملاقية» بأرض الصعيد، زعموا أنَّ أحد أبويها من الوحشي والآخر من الأهلي، فهي أسير تلك الحَمير (راجع مسالك الممالك، ص٥٥. وكذا ابن حوقل، ص١٠٧).

ومن سَمَرْقَند: الكَاغِد.[١٣]
ومن بَلْخ ونواحيها: العِنَب الطيب والفوشنة.[١٤]
ومن بُوشَنْج: الكَبَر المربى.
ومن مَرْو: الضرَّابون بالبَرابِط الجِياد والطَّنافِس والثياب المَرْوِيَّة.[١٥]
ومن جُرْجَان: العُنَّاب والتَّدْرُج وحبُّ الرُّمَّان الجيد واليرمق[١٦] اللِّين والإبْرَيْسَم الجيِّد.[١٧]

---

[١٣] كاغد (بفتح الغين وكسرها) وكاغذ: لفظ صيني معرَّب دخل العربية بطريق الفارسي، ولم يكن الكاغِد معروفًا بالمشرق في أول عهد الإسلام، وإنَّما كانت الكتابة على القراطيس المتَّخَذة من البردي المصري أو على الرُّقُوق، وأول ظهور الكاغِد في الإسلام كان في سَمَرْقَند، صنعه هنالك أسارى من الصين أَسَرَهم الأمير زياد بن صالح في وقعة أطلخ سنة ١٣٤ للهجرة، فاتخذوه له من خِرَق الكتَّان والقُنَّب على ما كان جارٍ في بلادهم، فقلَّدهم الناس من ذلك الحين، وكثُر صُنعه في بِقاع متعددة من بلاد الإسلام، ومنها دخل إلى أروبا واشتهر. قال أبو منصور الثعالبي: كواغِدُ سمرقند هي من خصائصها التي عطَّلت قراطيسَ مصر والجلودَ التي كان الأوائل يكتبون فيها؛ لأنَّها أنعم وأحسن وأرفق، ولا تكون إلا بالسمرقند والصين، ثمَّ كثُرت الصَّنعة واستمرت العادة حتى صارت متجرًا لأهل سمرقند، فعمَّ خبرُها والارتفاقُ بها إلى جميع البلدان في الآفاق (ثمار القلوب، ص٤٣١). وذكر المقريزي في خططه أن جعفر البرمكي هو أول مَن استبدل الكتابة على القراطيس بالكاغد في الدواوين (النويري ١، ٣٦٧).

أقول: ومن أشهر الأصناف التي كانت تُصنع قديمًا في العالم الإسلامي: الكاغِد الفرعوني تقليدًا للقراطيس المصرية المستعمَلة إلى حدود ذلك الوقت، والكاغِد السليماني نسبة إلى سليمان بن رشيد ناظر بيت المال بخراسان على عهد الخليفة هارون الرشيد، والجعفري منسوب إلى جعفر البرمكي الوزير العباسي، والطَّلحي منسوب إلى طلحة بن طاهر ثاني أمراء بني طاهر، والنُّوحي نسبة إلى الأمير نوح الأول من بني ساسان، وسوى ذلك كثير، وقد شاعت الوِرَاقة في البلاد العربية، وخُصصت بدُور صناعة في العراق واليمن وفارس والشام ومصر والمغرب، لا سيَّما في القيروان والمهدية، وفي الأندلس خصوصًا بمدينة شاطبة Xativa وغيرها (انظر كتاب الفهرست لابن النديم، ص٢١؛ وصبح الأعشى ١، ٤٧٤ و٤٧٦).

[١٤] الفوشنة: ويسميها أبو بكر بن الفقيه الهمذاني «الغوشنة» (كتاب البلدان، ص٢٥٥)، ولم نهتدِ إلى معرفة ماهيتها.

[١٥] ثياب مَرْو، قال الثعالبي: كانت العرب تُسمِّي كلَّ ثوب صفِيق يُحمل من خُرَاسان المَرْوِيَّ، وكلَّ ثوبٍ رقيقٍ يُجلب منها الشاهجاني؛ لأنَّ مَرْو عندهم أمُّ خُراسان، ويُقال لها مَرْو الشاهجان، وقد بقي إلى الآن اسم الشاهجان على الثياب الرقيقة، ومما تختص به مرو من الثياب «المُلْحَم» (ثمار القلوب، ص٤٣١). ومَن يُنسب إلى مَرْو من الرجال يُقال له مَرْوَزِيٌّ، ومن الثياب مَرْوِيٌّ (العقد الفريد ٣، ٢٥٧). أقول: المتعارف هو أنَّ النسبة إلى مَرْو الروز: مَرْوَزِيٌّ، وإلى مَرْو الشاهجان: مَرْوِيٌّ؛ للتفريق بين المدينتين.

ومن آمِدَ: الثِّيابُ المَوْشِيَّة، والمنادِيلُ والمقارم[١٨] الرِّقاق والطَّيَالِسة من الصوف.

ومن دَبَاوَنْد:[١٩] نُصُول السِّهام.

ومن الرَّي: الخوخ والزئبق واليَرْمَق والأسلحة والثياب الرِّقاق والأمشاط والقَلانِس الملكية والقَسِّيات[٢٠] الكتان والرُّمان.[٢١]

ومن أصفهان: الشَّهْد والعسل والسَّفَرجَل والكُمثرى الصيني والتفاح والملح والزعفران والأُشنان والأسفيذاج[٢٢] والكحل والسرر المطبقة والأثواب الجياد والشراب من الفواكه.[٢٣]

---

[١٦] لم نقف على معنًى للفظ «اليرمق»، وكأنه تحريف «النَّرمق» بالفتح، فارسي معرَّب «نرمه»، وهو اللِّين الناعم من كل شيء، وأنشد الليث لرؤبة يصف شبابه:

أَجُرُّ خَزًّا خَطِلًا ونَرْمَقا  إنَّ لِرَيْعانِ الشَّبابِ غَيْهَقا

تاج (٧، ٧٥): ويمكن أن يكون أيضًا «يلمق»، ج يلامق، وهو ضربٌ من الفِراء المبطنة.

[١٧] قال الإصطخري: ويرتفع من جُرْجَان من الإبْرَيْسَم شيء كثير، وإبْرَيْسَم طبرستان يحمل بِزْر دُودِه من جُرْجَان، ولا يرتفع من بِزْر طَبَرِسْتان إبْرَيْسَم، وبجُرْجَان الثلجُ والنَّخيل وفواكه الصُّرُود والجُرُوم من التين والزيتون وسائر الفواكه (الإصطخري، ص٢١٣؛ وابن حوقل، ص٢٧٣). وقال المقدسي: ولأهل جُرْجَان المقانِعُ القزِّيَّات تُحمل إلى اليمن، والعُنَّاب. ولهم ديباجٌ دون (أحسن التقاسيم، ص٣٦٧).

[١٨] المقارِم: ج مِقْرَمَة، وهي السِّتْر، وعن ابن الأعرابي هي المِحْبَس نفسُه يَقْرَم به الفِراش، قال: وهو ثوبٌ من صوف فيه ألوان من عُهُونٍ، فإذا خِيط فصار كأنَّه بيتٌ فهو كِلَّة، وقد تُزيَّن المقارِم في أطرافها بالرَّجَائز، وهي نسيجة حمراء عرْضُها ثلاث أصابع وأربع (المخصص ٤، ٧٥). أقول: وقد أخذ الإفرنج لفظةَ مِقْرمَة عن اللغة العربية وأطلقوه على نوع من الطُّرَر يسمُّونه Macramè.

[١٩] دَبَاوَنْد: كذا بالأصل، وهو عندي تحريفٌ من الناسخ، وصوابه «دُنْبَاوَنْد»، وهو جبلٌ عالٍ بناحية كِرْمَان، قال ابن الفقيه: وبكِرْمَان مدينةٌ يُقال لها «دِمنْدَان»، وهي مدينة كبيرة واسعة، وبها أكثر معادن الذهب والفِضة والحديد والنُّحاس والنُّوشاذر والصُّفْر، ومعدِنه بجبل يُقال له «دُنْبَاوَنْد»، جبل مرتفع شاهق في الهواء ارتفاعه ثلاث فراسخ (كتاب البلدان، ٢٠٦).

[٢٠] بالأصل العسيات، وعندي أنَّها السيات: نوع من الثياب كانت تُجلب أوَّلًا من قس بمصر، ثمَّ أُطلق الاسم على غيرها، وقد ورد ذكرها في الحديث الشريف (راجع النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير). وقال ابن سيده: الثِّياب القَسِّيَّة تُنسب إلى قس، وهو موضع، وهي ثياب فيها حرير تُجلب من نحو مصر، وقد نُهي عن لبسها (المخصص ٤، ٧٢).

ومن قُومَس: الفئوس والأمساح والجِتْر[٢٤] والطيالسة من الصوف.
ومن كِرْمَان: النِّيلَج والكمُّون.
ومن الجور: الجوارشن،[٢٥] وبِزْرُقَطُونا.[٢٦]
ومن بَرْذَعَة: البِغال الفُرَّه.[٢٧]
ومن نَصِيبِين: الرَّصاص.
ومن فارس: الثياب الكتان التوَّزي والسابري وماء الورد[٢٨] ودُهْن النَّيْلُوفَر ودُهْن اليَاسَمين والأشربة.
ومن فَسا: الفستق وأصناف الفواكه وطرائف الثمر والزجاج.
ومن عُمان وسواحل البحر: اللؤلؤ.

---

[٢١] قال الثعالبي: وكان يحمل إلى السلطان مع خراج الرِّي – وهو اثنا عشر ألف درهم – من الرُّمان مائة ألف، ومن الخوخ المقدَّد مائة ألف رطل (ثمار القلوب، ٤٢٨).

[٢٢] الإسفيذاج: فارسي مُعرَّب، وهو نوع من الطلاء أبيض اللون شارقه، ويسميه الإفرنج Blanc de Ceruse، وهو المعروف في تونس بالباروق، وقد أطال ابن البيطار ذكر صنعه وتحضيره، فليُراجع (جامع المفردات ١، ٣١).

[٢٣] قال الثعالبي: وكان يُحمل من أصبهان إلى حضرة السلطان كل سنة مع خَراجها – وهو واحد وعشرون ألف ألف درهم – قَدرٌ كبير من الكحل ومن العسل ألف ألف رطل، ومن الشمع عشرون ألف رطل، وكُحْلها موصوف بالجودة، والزعفران بها كثير (ثمار القلوب، ٤٢٧).

[٢٤] الجِتْر: فارسي معرَّب، وهي المِظلَّة تُتَّخَذ للوقاية من الشمس.

[٢٥] كذا بالأصل والأقرب أن تكون الجواشن، ج جوشن، وهي الدروع، وقد ذكرها الجاحظ في «المحاسن والأضداد» (فصل محاسن الهدايا).

[٢٦] بِزْرُقَطُونا: نبْتٌ معروف، وهو صِنفان، شتوي وصيفي، وأنفع ما فيه بِزْرُه، وهو الأسفيون بالفارسية، وفي اليونانية فسيلون Psyllium (راجع المختصر الفارسي للصقلي. والمعتمد في الأدوية لا بن رسولا: طبع مصر، ص١٦. وكشف الرموز للجزائري. وغير ذلك).

[٢٧] قال الإصطخري: ويرتفع من نواحي بَرْذَعَة بِغال تُجلب إلى الآفاق (المسالك، ١٩٠). وقال ابن حوقل: ويُجلب منها من البِغال الجِياد الموصوفة بالنَّجابة والصحة والجَلَد والصَّبر إلى خُراسان والعراق والشام وغير ذلك مما يُستغنى بشهرته عن ذكره (حوقل: ٤٢٨).

[٢٨] قال الثعالبي: جُور من كُوَر فارس مخصوصةٌ بالورد الذي لا أطيب منه في سائر البلاد، يُضرب به المثل في الطيب، وهو مجلوب إلى أقاصي المشرق والمغرب ... وكان يُحمل من فارس إلى الخلفاء كل عام مع خَراجِها من ماء الورد سبعة وعشرون ألف قارورة (ثمار القلوب، ٤٢٧؛ وراجع أيضًا: الإصطخري، ١٥٢؛ وابن حوقل، ١٢٣؛ والمقدسي، ٤٤٣).

ومن مَيْسَان: الأَنْماط والوسائد.
ومن الأهواز ونواحيها: السُّكَّر والدِّيباج الخَز.[٢٩]
... والصنَّاجات والرقَّاصات[٣٠] ... وأنواع التمر والدِّبْس والقَند.[٣١]
ومن السوس: الأُتْرُجُّ ودُهن البنفسج والشاه سبرم[٣٢] والجِلال والبراذع.
ومن الموصل: الستور والمسوح[٣٣] والدرَّاج والسماني.
ومن حلوان: الرمان والتين والكامَخ.[٣٤]

---

[٢٩] السُّكَّر: من خواص الأهواز ومفاخرها ومتاجرها، ولا يكون إلا بها على كثرة قصب السكر في سائر النواحي، والمثل المضروب بسُكَّر الأهواز كما قال أبو الطيب المتنبي:

تقضِم الجمرَ والحديدَ الأعادي  دونـه قَـضْـم سُـكَّـر الأهـواز

وكما يُحمل إلى الخلفاء كل عام مع خراج الأهواز — وهو خمسة وعشرون ألف درهم — ثلاثون ألف رطل من السُّكَّر، ومما يُنسب إلى الأهواز من النَّفائس ديباج تسر وخز السوس، قال كشاجم يصف الروض:

كأنَّ الذي دبجت تسر  وطرزت السوس فيه نسر

(ثمار القلوب، ٤٢٦).

[٣٠] حصل هنا ترهل عطَّل قراءة بعض الكلمات. أما لفظ «الصناجات» الواردة بالأصل، فأظنها تحريفًا من الناسخ، ولا أخالها إلا «النِّصَاحات»، وهي الجُلود، واحدتها نِصاحة (راجع المخصص ٤، ١٠١). وكذا قوله «الرقاصات»، فهي عندي «الطرَّاحات» ج طرَّاحة، وهي مقاعد صغيرة مربَّعة تُطرح في البيوت.

[٣١] القَند والقَندة: معرَّب «كند»، وهو عصارة أو عسل قصب السكر إذا جَمَد، وهو المعروف عند الأطباء بسكر النبات، ويسميه الإفرنج Sucre candi؛ أيْ سكر مربَّى.

[٣٢] شاه سبرم، ويُقال أيضًا شاهسفرم وشاهشفرم: نوع من الريحان، كان يُسمَّى الريحان السلطاني والحَبَق الكِرْمَاني. واللفظ فارسي معرَّب «شاه سيرغم»، وهو مما عُرِّب قديمًا لوقوعه في شعر الأعشى (شفاء الغليل؛ وتاج العروس ٨، ٣٦١؛ وكتاب المعتد لابن رسولا، ص١٧٨؛ وغير ذلك).

[٣٣] المسوح، ج مسح: عن ابن سيده كساء مخطَّط يكون في البيت يُستتر به ويُفترَش (المخصص ٤، ٨٠). ولا يخفى أن منسوجات الموصل كانت لها من قديم الزمان شهرة كبيرة في الشرق والغرب، حتى إن الأمم الإفرنجية أطلقت عليها اسم Mousseline تذكيرًا لأصل مَوْردها.

[٣٤] الكامَخ: فارسي مُعرَّب، وأصله «كامه»، ويُجمَع على كواميخ. قال الجواليقي: الكامَخ الذي يُؤتَدم به (كتاب المعرب). وقال مرتضى وغيرها في شرح الكامَخ: ومنهم مَن خصه بالمخلَّلات Hors d'oeuvres

ومن أرمينية وأذربيجان: اللُّبُود ... والبرادع والفُرُش والبُسُط الرِّقاق والتِّكَك والصوف.[٣٥]

التي تُستعمل لتشهِّي الطعام (تاج ٢، ٢٧٧)، وكذا شفاء الغليل. أقول: والمعنى الأخير هو المقصود هنا، ويؤيده ما حكاه الجاحظ نفسه في البيان والتبيين (ج٣، ص١٩١، من طبعة مصر، سنة ١٣٣٢).

[٣٥] قال ابن حوقل عند ذكره أرمينية وأذربيجان: وبهذه البلاد وفي أضعافها من التجارات والمجالب وأنواع المطالب من الدواب والأغنام والثياب المجلوبة إلى النواحي والأقطار، معروفة لهم ومشهورة كالتِّكك الأرمنية التي تعمل بسلماس، تُباع التِّكة من دينار إلى عشرة دنانير، ولا نظير لها في سائر الأرض. ثمَّ قال: وأكثر ما يخرج إلى بلاد الإسلام من الديباج والبُزْيُون وثياب الكتان الرومي وثياب الصوف والأكسية الرومية، فمن أطرابزندة (المسالك والممالك، ص٢٤٦). وقال الثعالبي: وكان يُحمل إلى حضرة السلطان مع خراج أرمنية كل عام — وهو ثلاثة عشر ألف ألف درهم — من البُسُط المحفورة (؟) ثلاثون بِساطًا، ومن الرَّقْم خمسمائة وثمانون قطعة، ومن البُزاة ثلاثون بازيًا (ثمار القلوب: ٤٢٨).

# باب ما يختاره من البُزاة والشَّواهين والبَواشِق والصُّقور وغير ذلك من جوارح الطير

خيرُ البُزاة البيضِ ما يقع بناحية التُّرك إلى جيلان، ثمَّ السود الغرابية التي بناحية الزنج إلى الهند وإلى اليمن، ثمَّ الحُمر المشرقة، ثمَّ الدَّيْزج.[١]

وخيرُ الشواهينِ الغرابيةُ البحريةُ، والبِيض الجُرجَانيةُ.

وكذلك البَواشِق يُستحب منها السُّود الغرابية البحرية، ثمَّ البِيض الهندية، ثمَّ الحُمر البحرية، الحمر البطن والصدر بيكانات[٢] بيض، المزهر اللون، الكبير الرأس، الغائر العينين من غير هزال، العريض المِنْخرين، الواسع الصدر مرتفعه، اللَّيِّن الزَّغَب الطويل الذَّنَب، الأخضر الأرجل الذي رِجله قريبة من الدستبان،[٣] الثقيل الوزن، فإذا بلغ وزنه مائة وثلاثين[٤] فذلك غاية.[٥]

---

[١] الدَّيْزج: فارسي معرَّب دِيزه بالكسر، ومعناه ذو لونين، أو هو بين لونين غير خالص (تاج ٢، ٤٢)، ويُروى أيضًا ديرح بالراء المهملة (النهاية لابن الأثير ٢، ٢٢).

[٢] بكانات: فارسي معرَّب، وأصله «بكانة»، ومعناه واحد، والمقصود هنا معلَّم بنقط بيض.

[٣] الدستبان: فارسي معرَّب، وهو القفَّاز من جلد يتخذه البيَّاز في يده عندما يلعب أو يصطاد بالطير الجوارح.

[٤] كذا ورد من غير تعيين، والمظنون أنَّه يقصد مائة وثلاثين درهمًا؛ يعني نحو أربعمائة وعشرة غرامات، باعتبار وزن الدرهم الشرعي بثلاثة غرامات وخمسة عشر سنتيغرام.

وزعموا أن اليُؤيُؤ[٦] ذكورة الصقور، والعفصيُّ[٧] ذكورة البَواشِق، وذكورة البُزاة بمنزلة اليُؤيُؤ الصغير.

وقالت الفُرس: لا يكاد الفَرس والبازي يكونان حسَنَي المنظر لا مخبر لهما، ولا حسني المخبر لا منظر لهما، فإن اجتمع المخبر والمنظر كان فائقًا.

[٥] قال القلقشندي: المختار من صفات الشواهين فيما ذكره صاحب «المصايد المطارد» الأحمرُ اللونِ إذا كان عظيم الهامة، واسع العينين حادَّهما، سائل السفعتين، تام المِنْسَر، طويل العنق، رَحْب الصدر، ممتلئ الزور، عريض الوسط، جليل الفخذين، قصير الساقين، قريب العقدة من القفا، طويل الجناحين، قصير الذَّنب، سبط الكف، غليظ دائرة الخصر، قليل الريش لينه، تام الخوافي، ممتلئ العكوة (صبح الأعشى ٢، ٥٨)، وقال أيضًا في صفة البُزاة قائلًا عن الكتاب المتقدَّم: المختارُ من ألوانها الأحمرُ الأكثر سوادًا الغليظُ خطوط صدر، والأشهبُ الشديد الشُّهْبة الشبيه بالأبيض، والأصفر المدبَّج الظهر. ثمَّ قال: إنَّ ذَكرَ البازي يُسمَّى الزُّرَّق (صبح ٢، ص٥٦ و٥٧).

[٦] «اليُؤيُؤ». قال القلقشندي: وتسميه أهل مصر والشام الجَلَم، وهو طائر صغير أسودُ اللون يضرب للزرقة، وسموه الجَلَم أخذًا من الجَلَم، وهو المِقَص، تشبيهًا به؛ لأنَّ له سرعة كسرعة المِقَص في قطعه (صبح ٢، ٦١).

[٧] «العفصي»: طائر صغير اشتق اسمه من لونه؛ إذ كان يشبه العفص، وورد في «صبح الأعشى» اسم العفصي «بالفقمي»، وفي التعليق عليه قال مصحِّحه: «العقصي» (؟) وكلاهما تحريف، والصواب العفصي كما هنا للسبب الذي بيَّنا. قال القلقشندي: هو بازٌ قَضِيفٌ، قليل الصيد، ذاهل النَّفْس (صبح ٢، ٥٧).

# باب آخر

كل ثوب من اللباس والفُرُش إذا كان ألينَ وأنعمَ وأسنى كان أرفعَ، وكل عِلْق من الجواهر والأحجار إذا كان أصفى وأضوأ فهو أنفس، وكل حيوان من الوحشيَّة والأهليَّة إذا كان أجسم وأطوع فهو آثر وأفخر، وكل إنسان من الشَّريف والوضيع إذا كان أعقل وأسهل فهو أجمل، وكل امرأة أو أَمَة إذا كانت أكثر سكونًا، وأجمل حالًا، وأنزر طعمًا، وأشكر للناس فهي أصون، وكل طير من السَّهليَّة والجبليَّة إذا كان آلف كان آثر، وكل طارف وتالد إذا كان أزجى وأجل فهو أهنأ، وكل عدو صغير أو كبير إذا كان حميمًا فهو أعدى وأشد حسدًا، ومن لم يُعرف مأواه فمحذور قربه.

والدول تنتقل والأرزاق مقسومة، فأجمِلوا في الطلب، وارحموا المسكين، واعطفوا على الضعيف تُجازَوا به وتُثابوا، والقضاء جالب يجلب الأمور، وخيرُ النوم ما يُذهِب الإعياء والكسل.

ومعرفةُ الأشياء بالحواس الخمس: جودةُ الشيء بالنَّظر أن يكون حسنًا رائقًا، وبالخيشوم إذا كان طيِّبًا أرِجًا، وبالمذاق إذا كان حُلوًا عَذْبًا، وبالسَّمع أن يكون صافي الوقع والصوت، وباللمس أن يكون ليِّنًا ناعمًا.[1]

وكانت العجم تقول: القلب والبصر شريكان، والطَّعم والحسُّ مُتفقان، والفطنة والحفص رفيقان، والسمع والمنطق مجتمعان.

---

[1] ذكر الجاحظ «الحواس الخمس» غير مرة في غضون تآليفه المطبوعة، قال: هي السمع، والبصر، والذوق، والشم، والمَجسَّة، ولم يقل اللمس (كتاب الحيوان، ج٣، ص٨٩).

وخيرُ الناس السَّهلُ الطلِق الوجه المتواضع، وفراسة الرجل السوءِ أن يكون منقبضًا غير منشرح، وأن يُرى لونُه إلى الصفرة والكمود من غير مرض، وأن يكون طائش القلب، وأن يكون للدُّعابة والمزاح كارهًا لهما عائبًا، وأن تراه غليظ اللفظ عند المحاورة.

ومن فِراسة الرَّجل الصالح أن تراه سهلًا طلِقًا، ذا منظر بهي وكلام شهي، سبط الجبين غير منقبض ولا نزِق علِق قلِق، وغير كاره للدعابة والمزاح، يُذكر بخير، ليِّن المحاورة متواضعًا.

وزعم سابورُ الملِك أنه ليس ينبغي للعاقل أن يعتدَّ بقول سبعة من الناس: بقول السَّكران، والدلَّال، والمُضحِك، والعليل، والعرَّاف، والنَّمام، والنَّسَّاء.

(تَمَّ الكِتابُ، ولله المِنَّة والحمد كما هو أهله.)

(وصلى الله على محمد وآله وسلم.)

هنداوي